تفصيلات في حياة خمسة من الرجال

عبد الكريم الناعم

ترحل الطير ، والمسافات تغدو ،
ونجوم الرهان : زهر وخمر
يفتح القلب جرحه الابديّ ،
باطل ما تقوله البحار ،
أمي على موانىء الجمر تعدو ،
كلما أشرقت شمسها خطفتها مدن الغيم ، والمحار ،
وعلة القلب خلفها ،
والبكاء : خيل ، وتمر .
تحمل الريح من نوارس البحر مزقة الصوت
فوق لجة من سفار ،
يفرد الصخر صدره للرذاذ المطير فأصغي ،
ضفتي : الموج ،
والشراع : قراءات أهلي ،
والمدار : الصراط ،
والصحو : سكر .

ترحل الطير ، والبحار ، فأعدو ..

سقط اللون في البحار عشيّة جئنا
الى حانة الرعد ،
دلفنا ..
نكهة البحر في العيون ،
المدن الغافيات على الشاطىء الابديّ حكايا ،
ذكريات لها هيئة الزواريب ،
ولفتات عيون غجريات المعاني ،
وانتشاء حينما ينخلع الليل ويأتين الى زاوية غرّبها
الكون عن الخبز ، وعن وقع الخيول ،
اللحظة : الزهر ،
وأوهام ، وهجر ،
نحن في الشرق نحب الهجر كالوصل ،
نحب الوصل كالهجر ، ونصلي ،

ترحل الطير فأعدو ،
وأنا في الافق طير .

* * *

حمّلتنا أمنا من نكهة البرّ ، ومن زعترها الطيب
الخرافيّ ، وألوان البراءات الحزينه
اثقلتنا بالفناء المرّ ، والعذب ، وبالمأساة ، والنوء ،
وحين افتقدتنا ، ضيّعتنا الارض في رحم المدينه
غافلتنا المدن الخرساء حتى أخذت كل حروف النسغ ،
ألقتنا الى أبعد حيّ ، / حاربتنا باسم تجار
« الاتاتيك » ، وقالت للعناقيد بأنا غرباء .
كانت الغربة انا نرسم الفجر على هيئة زهر ،
وبأنا نحمل الثورة في القلب ، / وانا فقراء .
ترك الريف على أحداقنا لون البراري ، والسنابل ،
والعذابات . / انتسبنا .. ، النار : وجه ، /
والتفاصيل على كل جهات الارض : عشق لوّحته الشمس .
نسعى ،
يا المناكب ....
. . . . . .
ضاقت الارض . / لمن هذي البلاد ؟! ،
الذهب ، / الجنس السقيط ، / البغي : راية أهلها
المتجالسين ، وللحفاة الفقر ، والجهل ، وفي الحرب
الضحايا الشهداء .
حمّلتنا أمنا من نكهة البرّ الشموخ الطبقي الفذ ،
/ فاجتزنا ، / ولكن خيول المال أسعى ، / سبقتنا ،
/ فتحوّلنا جميعا أجراء ...

* * *

خمسة من ذلك الضرع رضعنا ،
خمسة يوم تنادى الناس كنا طلعة واحدة أيقظها
البرّ ، / وغذتها جراح البؤس والقهر ، /
خرجنا نحمل العمر على اليمنى ، / وفي اليسرى
المواعيد ، / وقلنا : يا السنابل أينعي ، / ولتأكل
الطير ، / وهذا زمن البذر . /
انتشرنا ، / ورسمنا شارة للفرح المقبل ، /
كيف انحرفت دائرة الرؤية ؟.. لا أدري .
تلاقينا على الدهشة أفواجا . / هي الجيفة :
المال ، ونسوان القصور المغريات .

تسرّب الداء الخبيث ،
تفرّق الفقراء ،
عدنا خمسة بخطى جريحات ،
وأقفرت المنازل .

* * *

(حين يغدو الوطن المغـــدور « شيكات » ، وأموالا تسافر في بنوك الغرب أرصدة ، قصورا .. يـدرك الفقراء انهم جميعا دونما وطـن ، ويقترعون .. ، / هل يتجمع الفقراء حتى يستعاد الوطـن المسروق من أيدي السماسرة الكبار
أم انهم يتوجهون الى سفار الجرح ، لا وطنا يمدّ على زوايا القلب بهجته العريقة يقسمون العمر بين الكأس، والقهر ، وأحلام السفار ؟!
حين يغدو الوطن المسلوب بوّابات اثراء ،
يلمّ البحـــر شطّيه ، وترسو في المـدى الغربـي أردية المحار .)

* * *

خمسة كنا ، وبعثرنا الحصار
خطف الخارطة الخضراء منا . / وانتظرنـا . / ..
جفّت الارض ، / طيـــور البلد الفاشم فرّت / فرّخ الخفاش ، والضرع الذي أرضعنا هدله اليأس، وأضنانا الدوار .
خمسة نحن على خارطة الفقر توزعنا ، / جراح العمر لا ترشح زيتا . / والخوابي فارغات .
١ ــ واحد في شرق هذا الوطن المدلوق من فاه دواة الحبر ، والعصر ، / على شاطئه الشرقي تغسله الحرارة ، والرطوبة باغتراب الخبز والخمر . / اذا استقبله البحر : تلقته قناديل «بايران» . / وان هزّتـــه ريح حنينه الفصلي : تنمـــو الذكريات عـلى الرمال ،
العجز يخطفه ، والنزف . / في الليل له من كل ما في الوطن الممتد حجم فراشه في غرفة يتوسد الغرباء كل ترابها ، جسد بجانب جثـة غرقى من التعب الزنيم ، ولهفة فيما يجيء ، ولا يجيء .
٢ ــ الآخر المنحوس في بلد توسّد بدوه المتحضرون رحاب أوروبا لهذا العام ، يزرع في الرمـــال بروجه المتصدعات ، ويقتفي الموت البطيء .
٣ ــ الثالث المنكود يسعى فـي الخروج ، / يمـدّ راحته الى جسد الهواجس ، « والحشيش » ، يظلّ يغرق بانتظار الصبح ، والسفر البعيد .
٤ ــ والرابع المرصود بين البيت ، والطلاب ، يترك عمره الباقي ، / يوزع أشهر الايام فـي فلك المرارة ، كلما أعيته يبدأ من جديد
٥ ــ وأنا تفصّلني الحروف . / حرائق الايام في جسدي، وفي لغتي : مدى. / وطني يموت.. ، وبين حدّي حرفه ، وترابه .. يتجذر الاعياء في رئتي ، / فأفتح كل أبواب العوالم بانتظـار مدينة آوي اليها ، امرأة . حين آتيها أسافر قبل أن اقضي لبانة شوقي المجروح . / أقتحم المرارة . / ثدي أمي : زهـــرة مرميّة . / والكأس : باب للسباب . / الطير : غاشية . / وجرحي : ساريه .

يترصد القتل المباح الطير ، أعدو باتجـــاه الطير . / تصطخب البحار ، / الموج يخطفني وينشرني رذاذا فوق حدّ الصخر . /
أصرخ مثـــل ذئب جارح في البرّ .. / تحدجنـي النوارس ، ثم تحترق البيادر ، ثم تخرج من حريـق النار أمي عاريه
لا يقظة عمري ، ولا حلما يسافر في دمي ، / وأخال اني مبحر ، / ويدي زجـــاج ، / بين حدّي غربتي وتوجسي تتثقب الايام ، / أهـــلي يشبعون مـــن الطوى، / وقبيلتي : الفقراء يبتردون بالفقر المبين في الليـــــل أجلس ذلك الكأس الرفيق ، / أقول للغياب : صبّوا ، / ثم أدعو أهلي الجرحى، فنشرب، ثم أبكي ، ثم أنثر فوق جرحي حفنة من ياسمين
من ياسمين
من .. يا .. سا.. مي .. ـن .

* * *

ترحل الطير ، والمسافات تعـــدو . / خمسة اخوة يتركون في دفتر العشب نبضة من تعنت الجـرح ، واغتراب الاماني ، / والريح تعدو ..
خمسة اخوة .. أمهم : قارب أثري في بلاد تغشّى مفاتنهـــا « النفل » ، والدود ضاحك في جـــراح المقيمين فيها ،
خمسة يبدؤون ، /
خمسة يدخلون ،
خمسة يُطمسون ،
لا « قرعة » اليوم ،
فاهدئي جزر النار فصلا ،
انها مقدمات ما قد يجيء .

حمص